مقدمة المترجم

تمثل منطقة الخليج العربي بالنسبة لإسرائيل «خزانة الذهب» المغلقة في وجهها، بسبب ثراء دول الخليج، ومعدل إنفاقها الذي يعد أعلى من أعلى المعدلات على مستوى العالم. في هذا الكتاب الذي بين يديك، يكشف دبلوماسي إسرائيلي عن الجهود التي بذلتها إسرائيل، دون توقف، لاختراق دول الخليج العربي، وترسيخ التطبيع معها، بادعاء عدم وجود حدود مشتركة بين إسرائيل وتلك الدول، بما يعني عدم وجود نزاع بين الجانبين. وقد بسبب ما سنكشفه هنا بعض الألم والأسف لمناهضي التطبيع، بنفس الدرجة التي سيسعد بها أنصار التطبيع ومروجوه. لكن النصف الآخر من الكوب، والجانب المضيء من هذه الصفحات يتمثل في أن هذا الكتاب «الإسرائيلي» يعترف صراحة ويؤكد على أهمية المقاطعة وأثرها على إسرائيل، بالشكل الذي يؤرق قادتها ليل نهار، ويدفعهم إلى العمل بإلحاح لكسر هذه المقاطعة وحث جهود التطبيع، كما يلقي الضوء على العلاقات الخفية والمتشابكة بين السياسة والاقتصاد وتغيير أنظمة الحكم أيضا.

وتنبع أهمية هذا الكتاب الذي يحمل عنوان : «إسرائيل على جبهة الخليج العربي»، وصادر عن مؤسسة «يديعوت أحرونوت»، أن مؤلفه، «سامي ريفيل»، يعد واحدا ممن كان لهم باع طويل في دفع التطبيع بين إسرائيل والعديد من الدول العربية، خاصة إذا علمنا أنه كان أول دبلوماسي إسرائيلي يعمل في قطر، حيث كان رئيس أول مكتب

لتمثيل المصالح الإسرائيلية في الدوحة، خلال الفترة من عام ١٩٩٦ إلى عام ١٩٩٩. وعمل ريفيل في مكتب المدير العام بوزارة الخارجية الإسرائيلية، ضمن فريق كانت مهمته الرئيسية والمركزية هي دفع علاقات التطبيع الرسمية الأولى بين إسرائيل ودول الخليج العربي، وتنمية التعاون الاقتصادي بين إسرائيل والعالم العربي بأسره. وفي السنوات الأخيرة رأس سامي ريفيل قسم العلاقات الإسرائيلية مع الاتحاد الأوروبي وحلف الناتو بوزارة الخارجية الإسرائيلية. ويعمل ريفيل اليوم كوزير مفوض بسفارة إسرائيل في العاصمة الفرنسية باريس.

ولذا يكون من الطبيعي أن يركز سامي ريفيل في كتابه هذا على مسيرة العلاقات التي نشأت بين قطر وإسرائيل، والمراحل التي مرت بها، بما يحمله ذلك من أسرار وتحولات ومفاجآت أيضا. ولعل من أبرز ما يحتويه الكتاب تأكيد هذا الدبلوماسي الإسرائيلي على أمرين: الأول: هو ارتباط صعود أمير القطر الحالي للحكم، عبر الانقلاب على والده، بتوطيد العلاقات القطرية الإسرائيلية. والأمر الثاني: هو الادعاء بأن الضغوط التي مارستها مصر على قطر لكبح جماح علاقاتها المتسارعة باتجاه إسرائيل، كانت ترجع إلى قلق مصر على مكانتها الإقليمية من الناحية السياسية، وخوفا من أن تفوز قطر بصفقة توريد الغاز لإسرائيل بدلا من مصر، وهي الصفقة التي كانت وما زالت تثير الكثير من الجدل في الأوساط السياسية والاقتصادية والشعبية أيضا. هذا طبعا بالإضافة إلى إشادة الدبلوماسي الإسرائيلي بالشيخة موزة، قرينة أمير قطر، واصفا إياها بأنها باتت السيدة الأكثر تأثيرا في العالم العربي، متفوقة بذلك على كل زوجات الرؤساء والملوك العرب!

يلح المؤلف خلال كتابه على الترويج لادعاءات محددة، أولها أن إسرائيل ليست عدوا أو مصدر تهديد لمنطقة الخليج لعربي، عبر القول بأن التهديد المركزي على منطقة الخليج ينبع من جانب إيران، التي تطمح أن تكون قوة إقليمية. وكأن

إسرائيل لا تستفيد من كل سوء يلحق بالعرب عموما، يقول المؤلف إن طموح إيران يدفع بها إلى زيادة التوترات بين الشيعة والسنة، وإن إيران تستمر أيضا، وفي الخفاء، في إثارة الصراعات الداخلية في دول شبه الجزيرة العربية بين من يتمتعون بالثراء الخيالي الذي أتى به اكتشاف النفط والغاز، وبين أولئك الذين لم تتحسن أوضاعهم بنفس الدرجة، إلى جانب الأصوليين الذين يطالبون بالتمسك بأصول الإسلام والشريعة وتراث السلف.

ويرى الدبلوماسي الإسرائيلي أن ثمة خصوصية ميزت إمارة قطر، التي قال إنها تحاول شق طريق خاص لها لمواجهة التحديات التي تقف ببابها، لكنه يقول: إن خزائن قطر الممتلئة بالذهب مكنتها من لعب دور لافت في منطقة الشرق الأوسط، بما يتعدى أبعادها الجغرافية وحجم سكانها. ويشيد بقطر لأنها رغم الضغوط، التي تعرضت لها من جانب جاراتها في الخليج العربي، أقامت علاقات رسمية مع إسرائيل عام ١٩٩٦، وسمحت لها بفتح مكتب تمثيل دبلوماسي على أراضيها. وفي نفس الوقت، هذه الإمارة الصغيرة، التي تتقاسم مع إيران حدودا بحرية وحقول غاز طبيعي، وطدت علاقاتها مع القيادة الإيرانية، وكذلك مع القيادة السورية، بل وأيضا مع منظمات إسلامية متطرفة مثل حماس وحزب الله.

كان من المثير للدهشة والتساؤل الربط بين مكانة قطر في المنطقة - برأي المؤلف - وعلاقتها بإسرائيل، منذ منتصف سنوات التسعينات من القرن العشرين، في الأيام التي بدأ فيها نمو العلاقات بين إسرائيل وقطر. ولا يخلو الكتاب من تلميحات مثيرة، مثل حديث المؤلف عن وصول أمير قطر الحالي إلى الحكم عبر الانقلاب على أبيه، وتحسن العلاقات القطرية الإسرائيلية فور تنفيذ هذا الإنقلاب، وبسرعة لافتة قد تجعل البعض يربط بين الحدثين.

ويتحدث المؤلف عن صعوبة نسج العلاقات القطرية الإسرائيلية التي شارك فيها هو بنفسه، لولا الصحبة والمساعدة التي حظي بها من مسؤولين كبار في قصر الأمير ووزارة الخارجية القطرية وشركات قطرية رئيسية، وأولئك الذين فتحوا بيوتهم وخيامهم أمام الإسرائيليين، على حد تعبيره.

ويحاول الدبلوماسي الإسرائيلي الفكاك من حقيقة الإرهاب الإسرائيلي والوحشية التي يستعملها الجيش الإسرائيلي كقوة احتلال ضد الفلسطينيين الذين هم أصحاب الأرض الحقيقيين، عبر كثرة الحديث عما يصفه بالإرهاب الإسلامي الذي يقوده تنظيم القاعدة بقيادة الشيخ أسامة بن لادن، متهما المملكة العربية السعودية بأنها أطلقت الراديكاليين الوهابيين من أراضيها إلى كل أنحاء العالم العربي لنشر التطرف! ولم يفته طبعا سرد كل الحوادث المنسوبة إلى «الإرهاب الإسلامي» بدءا من تفجيرات الظهران وعدن وأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما إلى ذلك.

تجدر الإشارة إلى أن الدبلوماسي الإسرائيلي تعمد في كتابه استخدام مصطلح «الخليج الفارسي» بدلا من «الخليج العربي». وهو ما بادرنا إلى تغييره خلال الترجمة، فقط حتى يكون القارئ العربي أكثر اقترابا من السطور، ولا يشعر أن الحديث يجري عن منطقة أخرى، أو مكان لا يعنيه.

الكتاب مليء بالمعلومات والأسرار، التي تكشف كيف نشأت العلاقات بين قطر وإسرائيل، وكيف كانت تدار، والدوافع التي تقف ورائها، والظروف التي أحاطت بها.

وأدركت أهمية الكتاب بمجرد مطالعة عنوانه في أحد مواقع الكتب الإسرائيلية، عام ٢٠٠٩، وسارعت إلى الحصول عليه عبر صديقة فلسطينية، لم تتردد في إرساله لي، وعكفت على ترجمته من اللغة العبرية إلى اللغة العربية.

وأرجو أن يتذكر القارئ أن الهدف من الكتاب ليس الإساءة إلى أية دولة عربية شقيقة، لان الكلام الوارد هنا، يأتي على لسان دبلوماسي إسرائيلي، هو مؤلف الكتاب، وليس على لساني، لان مهمتي تقتصر على الترجمة. وينبغي أن نتعلم من هذا الكتاب على الأقل أنه لا يمكن ائتمان الإسرائيليين على أي أسرار، فهم سرعان ما سيكشفون ما اؤتمنوا عليه من أسرار، سواء بدافع الوقيعة بين صاحب الأسرار ورفاقه، أو بدافع الرغبة من الاستفادة بهذه الأسرار، سواء عبر الاتجار بها، أو تحسين صورة الإسرائيلي نفسه ليقدم نفسه إلى الآخرين بأنه كان كاتم إسرار فلان الذي ائتمنه على خصوصياته، ولم يأتمن شقيقه العربي!

محمد البحيري

١ يناير ٢٠١١

القاهرة

obeikandl.com